# آدادب العالم والمتعلم

بهلم خادم العلم الشريه ع أبيى الهنال العباس أحمد بن منصور هرطام كان الله له ولوالديه ولمن علمه ومن كان له هنال عليه آداب العالم والمتعلم



1445 ه - 2023 ر

ISBN: 978-9938-14-021-7

#### الكاتب في سطور

هو شيخنا الفقيه الأصولي المحدث الصوفي أبو الفضل العباس أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل، ولد في لبنان عام 1381 هجري الموافق له 1960 رومي في مخيمات اللاجئين.

تلقى العلوم الأساسية والإعدادية والثانوية في مدارس اللاجئين في لبنان، والتحق في صفوف الثورة الفلسطينية وعمره عشر سنوات وكانت له مشاركات عديدة فيها.

استشهد والده رحمه الله في شهر شباط عام 1973 رومي. ارتحل شيخنا لطلب العلوم الشرعية إلى بلدان شتى وأقطار عديدة.

تلقى شيخنا العلوم الشرعية عن ثلة من العلماء الأثبات نذكر منهم:

- 1\_ الشيخ العلامة الأصولي المحدث سيدي محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي عميد جامعة الزيتونة.
- 2 الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمّد الأخوة المالكي الحنفي التونسي.
- 3\_ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي كمال الدين جعيِّط المالكي الحنفي مفتي الجمهورية التونسية.
- 4\_ الشيخ العالم الزاهد العابد حامل القراءات السبع المفسر اللغوي سيدي أحمد دريرة المالكي التونسي.
- 5\_ الولي الصالح سيدي محمد تقي الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.
- 6 السيد العلامة الأصولي المفسر محمد المنتصر الكتاني الحسني المالكي المغربي.
  - 7\_ السيد العلامة بدر الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.
  - 8\_ السيد العلامة عبد الله التَّلِيدي الحسني المالكي المغربي.

9\_ السيد العلامة الأصولي الفقيه محدث وقته وناقد عصره الصوفي الكبير عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

10\_ السيد الإمام الحافظ جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

11\_ وتدبَّج مع إمام الحرمين سيدي محمّد علوي المالكي الحسني المكي.

تشرف شيخنا بالعديد من الإجازات الخاصة والعامة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية.

يروي شيخنا بالسند المتصل الصحاح الخمسة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ويروي موطأ الإمام مالك، وبقية السنن والمسانيد، وكتب المعاجم والأثبات كن سد الأرب، وفهرس الفهارس، والبحر

العميق، وغنية المستفيد، والطالع السعيد، كما هو مجاز بالفتوى على المذاهب الأربعة.

مما قاله آباؤه رحمهم الله عنه

قال الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله تعالى:

"وكان محل الابن العالم البحاثة الأستاذ أحمد منصور قرطام الفلسطيني في طالعة الحاضرين مع اهتمام زائد في تسجيل الفوائد والبحث الصحيح، أمده الله بالإعانة، وزاده في زاده العلمي الكثير الوافر مما غَفَل الناس عنه، وحفظه ورعاه، كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه".

وقال أيضاً في تقريظه على كتاب المفاخر العليَّة بحديث الرحمة المسلسل بالأوليَّة:

"وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النفاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جاد، بلَّغه الله المراد".

"كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، ثم قال: وتوسع في معناه توسع خِرِّيت - الذي عرف خبايا الأمور-، فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد".

### وقال فيه سيدي كمال الدين جعيِّط رحمه الله تعالى:

"وإن مقام ابننا الشيخ أحمد لمن الصابرين المولعين بمعرفة أسرار الدين، المتلقين للمعرفة باليمين، وليت لنا قدراً من الفراغ أوسع في هذا الزمان الذي كثرت لنا فيه المشاغل والمسؤوليات، التي استغرقت كل الأوقات، ولم تترك لنا ساعة للتذاكر والمراجعة والبحث والمجادلة...".

#### وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أهل فلسطين:

"وإن من بين من كَرَعَ من مناهل العرفان، وملاً وطابه من العلوم الشرعية، أكان في الأصول العقائدية على مذهب السادة الأشعرية، والتفقه في الأحكام العملية والفروع الفقهية على مذهب السادة المالكية، ابننا البار ولدنا الروحي الفاضل الزكي: أبو الفضل حسام الدين أحمد منصور قرطام الفلسطيني

الأصل، التونسي المُقام، فقد لازمني وأخذ عني، وتخرج على أيدي علماء من أهل البلد الأجلاء، وإني المسمّى: كمال الدين بن محمد العزيز جعيِّط، طالب العلم الشريف، وأحد المتخرجين من جامع الزيتونة ومدرسيه، أجيز ابني أحمد المذكور لتدريس العلوم الشرعية، إذ هو أهل لذلك، فقد فاق أقرانه ومن كان في سنه من أمثاله، فاقهم نبلاً وفضلاً، وفَهماً وعلماً، وهو من الذين لا يخشَون في الله لومة لائم، وقد اختبرته واختبرت تلاميذه ممن أخذوا عنه ونشر علمه بينهم فاستناروا به وانتفعوا به أيَّ انتفاع، وقد حَبَّرَ قلمه مسائل عقائدية وأخرى فقهية، وقد انتهزها مريدوه، وقد كنا مستأنسين به بيننا نتجاذب معه أطراف الحديث، ونتباحث في مسائل فقهية وأخرى أصولية، وقد شاء المولى أن ينتقل إلى البلاد الشرقية، وإني جازم بأنه سيؤهله مستواه المعرفي في العلوم الشرعية وتمكنه من أصول الدين وأصول الفقه ومعرفة القواعد من أن تتلقاه أهل البلد بالإجلال والإكبار، وتُرسّمه في سلك علمائها الكبار، وسيقوم إن شاء الله بتدريس العلوم الشرعية، وسينشئ الرسائل والتآليف الفاضحة لزيغ الزائغين، وسيقاوم اعوجاج المتنطعين وتحريف المضلين، وشهادتي فيه أنه: ملأ الوطّاب بما حَسُن من العلوم الشرعية وطاب، وأنه تفقه في العلوم الشرعية ومقاصدها بحيث لا تتوارى عنه بحجاب، وهو مؤهل للفتيا بما يجلب له إن شاء الله الخير والثواب، وهو من المجتهدين الجاهدين في طلب العلم المتمسكين بسيرة وسنة سيد المرسلين، الباذلين النفس والنفيس في إعلاء كلمة الله رب العالمين، واللَّهُ: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي وَاللَّهُ: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي اللَّهِ المَعْمَةِ الله المَعْمَةُ فَقَدْ أُوتِي اللَّهُ عَلَيْهَ اللَّهُ اللَّهُ الْحَدِيقَ اللَّهُ اللّهُ ال

وقال فيه سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى في إجازته على كتاب نخبة الفكر:

يقول عبد العزيز بن محمد بن الصديق غفر الله له ورحمه: "قد قرأ عليَّ كتاب (النخبة) في مصطلح الحديث الأخ الفاضل المقبل على العلم والاشتغال به السيد أحمد منصور قرطام

الفلسطيني الأصل اللبناني المولد القاطن بتونس في هذه السنين الأخيرة تولاه الله تعالى ونفع به بالعلم وجعله من العاملين به، إنه سميع مجيب، وقد أجزته بالرواية عني بما أرويه عن شيوخي المذكورين في (فتح العزيز) تأليف الشيخ محمود سعيد ممدوح المصري، كما أجزته بالطريقة الصديقية الشاذلية وأذنته بتلقينها للإخوان الصالحين، والحمد لله رب العالمين".

وقال أيضاً في إجازته على كتاب نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء:

"فقد أجزت الأخ الفاضل الصالح البركة السيد أحمد بن منصور بجميع الأحزاب المذكورة في هذا المجموع".

والله ورسوله أعلم



## بين يدي القارئ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سلك بنا طريق العلم، والصلاة على من زينه الله بكمال الفهم سيدنا محمد وعلى آله وسلم، أما بعد،،،

فهذه رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفائدة، أخذتها واختصرتها واعتصرتها وهذبتها من كثير من أمهات الكتب باذلاً الجهد في المحافظة على مضمونها متحرياً بسيط العبارة ودقيق الإشارة لكي تتناسب مع الزمان الذي نعيش فيه بسبب أنّ الهمم كلت عند غالب الناس لا سيما طلبة العلم الشرعي، وذلك حرصاً منا على المساهمة في هذا الباب لأنه يجب على العالم والمتعلم أن يتصفا ببعض الصفات عند التعلم والتعليم وما يجب عليهما من التخلي والتحلي به قبل الشروع، وما هي العلوم التي يبتدئ بها، معتمداً في ذلك على مجموعة مهمة من المراجع التي اقتنصت منها هذه الرسالة مثل، الجامع لآداب الراوي وأخلاق

السامع للخطيب البغدادي الشافعي، وإحياء علوم الدين للغزالي الشافعي، وآداب الدنيا والدين للماوردي الشافعي، وبيان العلم وفضله لابن عبد البر المالكي، وتعليم المتعلم كيفية التعلم للزرنوجي الحنفي وغيرها من الكتب والرسائل التي احتوت على هذه المواضيع، راجياً من الله القبول وأن ينفع بها كما نفع بالأصول التي نقلت منها وأن يُنظر لها من أهل السداد والعلماء العاملين وطلبة العلم الغيورين بعين الإنصاف والله من وراء القصد وهو ولي فنعم المولى ونعم النصير.

## المقدمة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ،،،

فهذه آدابٌ لا بد أن يتصفُ بها طالب العلم ابتداءً قبل شروعه في تلقي العلوم الشرعية، اقتطفتها من أمهات كتب أهل السنة لاسيما الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي الشافعي، وكتاب جامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر المالكي الأندلسي، وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي الشافعي وغيرها من الكتب، ولكن هذه الثلاثة أهمها كما بينته آنفاً مع وجوب العلم أن العلوم الشرعية كبقية العلوم من حيث وجوب التلقي بل هي أهمها على الاطلاق، والعلم إذا أطلقت عبارته بلا قيد فالمراد منه العلم الشرعي،

وفي هذا الكتيب من الضوابط والقواعد التي لا يستغني عنها كل ما هو طالب علم مبتدئ مثلي ويحتاج إليها كل منتهي مما هو أعلم مني والتي يجب أن يتحلى بها العالم قبل المتعلم.

وهذا أوان الشروع في المقصود من شرح الجملة التي يبتدأ بها كل كتاب وهي بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى قولهم: أما بعد.

قال ابن جُزي رحمه الله في تفسيره التسهيل في علوم التنزيل: "كانت العرب تكتب بسمك اللهم حتى نزلت ﴿ بِسْمِ اللّهِ حَتَى نزلت ﴿ بِسْمِ اللّهِ حَتَى نزلت ﴿ وَهُو اللّهِ مَا اللّه الله عَمُ الله الله الله أو ادْعُوا الرَّحْمَن ﴾ "الآية 110 من سورة الإسراء" فكتبوا بسم الله الرحمن، حتى نزلت ﴿ إِنّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحمن الله الرحمن، حتى نزلت ﴿ إِنّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحمن الله الرحمن عن نزلت ﴿ إِنّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحمن الله الرّحمن عن الله الرّحمن عن الله الله عمال وتقدير الكلام ابتدئ "بسم الله" والباء للتبيك أو المصاحبة، والاسم: مشتق من السمو أو السمة، والباء للتبرك أو المصاحبة، والاسم: مشتق من السمو أو السمة،

والله: اسم علم يدل على الذات الواجبة الوجود وفُخِّمَ الاسم للتعظيم، وبناءً عليه فكل أمر يُطلبُ بدايته بالبسملة اقتداءً بالقرآن الكريم لحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ابْدَءُوا بِمَا بَدَأُ اللَّهُ بِهِ )- يعني في كتابه- "رواه مالك ومسلم والنسائي واللفظ له والترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم"، ولِمَا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع) رواه الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع"، وفي لفظ: (أبتر)، وفي لفظ: (أجذم) والحديث حسن.

ومعنى كلمة الرحمن: من تشمل رحمته المؤمنين والكافرين في الدنيا، وأما كلمة الرحيم: فهي تختص بالمؤمنين في الآخرة، وكلمة الرحمن أبلغ، والرحيم كثير الرحمة ومنها اشتُق اسم الرحم، وهي أسماء خاصة بالله ولا تطلق على غيره إلا بالإضافة: كعبد الله وعبد الرحمن.

الحمد لله: لغةً: الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل الاختياري لما أنعم الله علينا، وأما الشكر: فهو القول باللسان في مقابل إحسان، وشرعاً: إن الحمد ليس عبارةً عن قول القائل الحمد لله، بل هو فعل يُشعِرُ بتعظيم المُنعِم بسبب كونه مُنعِماً، وذلك إما أن يكون من فعل القلب وهو اتصافه بصفات الكمال والجلال، أو بفعل اللسان وهو ذكر ما يدل عليه، أو فعل الجوارح وهو الإتيان بأفعال دالة على ذلك، وكذلك الشكر لله: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرها إلى ما خلق له وأعطاه لأجله.

قال الإمام الطبري في تفسير سورة الفاتحة: "الحمد لله: ثناء أثنى به الله على نفسه وفي ضمنه أَمَرَ عباده أن يثنوا به عليه، فكأنه قال قولوا الحمد لله رب العالمين أي إله العالمين ولا تطلق كلمة رب على غيره إلا بالإضافة كرَبِّ الدار، وهي مرادفة لكلمة إله".

العالمين: هو كل ما سوى الله، وقيل العقلاء الثلاثة: الملائكة والجن والإنس.

والابتداء بالبسملة عند العلماء جمعاً بين الحديثين واقتداءً بالكتاب العزيز والسنة المقررة وعملاً بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع) "رواه النسائي وابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً"، وفي رواية عند عبد القادر الرهاوي: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليَّ فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة)، وبهذه الرواية يشرح الحديث الأول.

الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُونَ عَلَى النّبي يا أَيُها الذِينَ آمَنُواْ صَلُوا عَلَيهِ وَسَلِمُوا تَسلِيماً ﴾ الآية 56 من سورة الأحزاب"، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من صلى على واحدةً صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من صلى على واحدةً صلى

الله عليه بها عشراً) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وبمعناه عند البخاري".

وأحاديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم متواترة وقد أُلفت بها مؤلفات كثيرة أهمها القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي الشافعي، الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود لابن حجر الهيتمي الشافعي، وأوسعها وأجمعها سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين لبوصيري العصر سيدي يوسف بن اسماعيل النبهاني الشافعي الفلسطيني آخر قضاة الخلافة العثمانية، واختصر كل الشافعي الفلسطيني آخر قضاة الخلافة العثمانية، واختصر كل ذلك الحافظ الأصولي السيد عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية وجمع فيه ثلاثاً وأربعين حديثاً.

أما معنى الآية: ﴿إِنَ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُونَ عَلَى النّبِي يا أَيُها الذِينَ آمَنُواْ صَلُوا عَلَيهِ وَسَلِمُوا تَسلِيماً ﴾ الآية 56 من سورة الأحزاب"، فأحسن ما قيل فيها ما قاله بعض السلف مثل أبي

العالية وهو رفيع بن مهران الرياحي البصري "أبو العالية" والرّبيع بن أنس البكري البصري وهما من كبار التابعين والحافظ البخاري صاحب الصحيح وغيرهم قالوا هي الثناء عليه وتعظيمه والتحية اللائقة بذلك المقام وطلب الزيادة والترقي له، وقَرَنَ ذكره بذكره في التشهد والآذان وكذلك في قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزَّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾"من الآية 49 من سورة الفتح"، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَك ذِكْرِك ﴾ الآية 4 من سورة الشرح"، وهو جلي واضح ليتميز عن قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةُ ﴾ الآية 157 من سورة البقرة"، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ من الآية 33 من سورة الأحزاب".

ومن المعلوم بالبداهة أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره، والاجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنويه به وبقدره ومكانته عند الله ما ليس في غيرها، وأما ما

يستعمل من لفظ السيد والمولى فقد قال الأبي في شرحه على صحيح مسلم أن ذلك حسن لما في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، ولما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (قوموا إلى سيدكم)، وروى الحاكم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (أنا سيد ولد آدم، وعلى سيد العرب) وقال: صحيح ولم يُخرِّجاه، وعنده أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها بلفظ (ادعوا لى سيد العرب)، قالت: فقلت: يا رسول الله ألست سيد العرب؟ قال: (أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب)، وأخرجه أيضاً عن جابر مرفوعاً بهذا اللفظ، وأبو نعيم في الحُلية عن الحسن بن على عليهما السلام، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُنَّهُ قال: (لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اسْق رَبَّكَ، أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، ولَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، ولْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ، ولَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتى، ولْيَقُلْ: فَتَايَ، فَتَاتِي، غُلَامِي) "رواه البخاري ومسلم"، وهذا من قبيل الاستدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى، قال العجلوني في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس):

قِيامي على الأَقْدامِ حَقُّ وسَعْيُها لِلُقْياكَ يَا فَرْدَ الزَمانِ أَكِيدُ لِلْقَياكَ يَا فَرْدَ الزَمانِ أَكِيدُ فَقَدْ أَمَرَ المُخْتارُ أَنْصارَهُ بِهِ

لِسَعْدِ الذي قَدْ ماتَ وهو شَهدُ واسم محمد علم منقول من اسم مفعول حمد المضعف وذلك لكثرة خصاله المحمودة وأنشد فيه عمه أبو طالب فقال:

وشُــقَ لَهُ مِــنِ اسْــمِهِ لِيُجِلَّــهُ فَـذُو العَـرْشِ مَحْمُـودٌ وهـذا مُحَمَّـدُ ونقلها عنه حسان بن ثابت رضي الله عنه.

وقد اختلف العلماء في حكم الصلاة عليه على ثلاثة أقوال، والمشهور منها أنها فرضٌ في العمر مرة مع القدرة على النطق بها، وعملاً بقاعدة "لا تكليف إلا بفعل مقدور"؛ ولأن

الأمر في الآية يفيد الوجوب ولا يفيد التكرار، وهناك من قال أنها واجبة وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه، وقال آخرون: تجب كلما ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واختاره الطحاوي من الحنفية، والحليمي من الشافعية، واللخمي من المالكية، وابن بطة من الحنابلة، وبه نقول، وكذلك اختلف العلماء بالتسمية باسمه والتكني بكنيته عليه الصلاة والسلام، وهذا موضوع طويل بين العلماء نختار ما هو مختصر ومعتبر، فأما في حياته صلى الله عليه وآله وسلم فلا، وأما بعد انتقاله للرفيق الأعلى فهو جائزٌ لما صح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "يا رسول الله أرأيت إنْ وُلد لي وَلد من بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (نعم)" "رواه أحمد وأبو داود وغيرهما". وفي هذا أنشد البُصيري رحمه الله:

فَ إِنَّ لِي ذِمَّ تُّ بِتَسْ مِيَتِي

مُحَمَّداً وُهو أَوْفَى الخَلْقِ بالذِمَمِ

وآله وصحبه الطيبين الطاهرين: هي معطوفات على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي تبعُّ لها، وتجوز الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً، ومما لا شك فيه أن الصلاة عليه وعلى آله في الصلاة التعبدية هيَ خصوصيةً له ولآله فقط لحديث عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج علينا، فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: (فقولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهُمَّ بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)"رواه البخاري وغيره"، ولا يجوز إدخال غيرهما معهما في داخل الصلاة التعبدية التي لا تقبل الزيادة والنقصان، ولا يصح أن نزيد على

ذلك ومن فعل ذلك داخل الصلاة فقد بطلت صلاته وذلك لأن الخصوصية في داخل الصلاة مقيدة بمحمد وآل محمد وإبراهيم وآل إبراهيم فقط وهي الصلاة المشهورة والمعروفة بالصلاة الإبراهيمية، فلا نقول مثلاً اللُّهُمَّ صل على أبي بكر وعلى آل أبي بكر، أما خارج الصلاة نعم تجوز الصلاة على آل محمد وعلى غيرهم خلافاً لمن قال أنها لا تجوز قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾"من الآية 33 من سورة الأحزاب"، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنُّ لَّهُمْ ﴿ مِن الآية 103 من سورة التوبة"، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةُ ﴾ من الآية 157 من سورة البقرة"، وهذه آيات عامة يدخل فيها كل مسلم مؤمن ومعناها في هذا المقام أنها من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن الآدميين تضرع ودعاء وطلب، وعن عبد الله بن أبي أوفي قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلاَنِ) فأتاه أبي

بصدقته فقال: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى)"رواه البخاري ومسلم"، وعن جابر بن عبد الله أن علياً دخل على عمر وهو مسجى، فقال: "صلى الله عليك" "رواه الحاكم في المستدرك"، وقد عنون مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، وروى البخاري في كتابه الأدب المفرد في الأبواب "باب حسن الملكة، وباب العفو عن الخادم، وباب الخروج إلى الضيعة، وباب ليس المؤمن بالطعان" وذلك عند ذكره الإمام على قال: "على صلوات الله عليه"، وكذلك جاء أيضاً في الأدب المفرد في حق الإمام الحسن والإمام الحسين في "باب حمل الصبي على العاتق، وباب الانبساط إلى الناس" قال: "الحسن صلوات الله عليه، الحسن، أو الحسين صلوات الله عليهما"، وإن كان المشهور عند عوام الفقهاء غير ذلك إذ العبرة بما صح ثبوته كتاباً وسنةً وليس كثرة الأقوال والقائلين، وكذلك يقال على عليه السلام لما جرت به عادة أئمة المسلمين من سلف الأمة وخلفها عند ذكر أمير المؤمنين أن

يقولوا "عليه السلام"، وورد هذا كثيراً في كتب التفسير والصحاح والسنن والمسانيد وكاد لا يخلوا منه كتاب عند الأئمة المتقدمين، فانظرها بعيني رأسك وصفاء قلبك إن كنت طالباً للحق، ومنها ما ورد في صحيح البخاري وذلك عند تفسير سورة الذاريات حيث قال: "قال على عليه السلام: الذاريات هي الرياح"، ولم يقتصر البخاري فعل ذلك مع أمير المؤمنين فقط بل تعدى إلى ذريته، فقد ذكر في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام عن أنس بن مالك رضى الله عنه: "أُتِيَ عبيد الله بن زياد -لعنة الله عليه- برأس الحسين عليه السلام ..."، فهذا إمام المحدثين وصاحب أصح كتاب في السنن يسلك مثل هذا المسلك مع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كان ممنوعاً أن نقول عليه السلام لما وسَّم به کتابه.

والآل هنا أقاربه المسلمون والمؤمنون من بني هاشم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد

المطلب واسمه شيبة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كذا في الصحيح وهو متفق عليه، وما بعد عدنان إلى آدم فهو مختلفٌ فيه إلا أنه متفق على أن النسب يُرفع إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم الصلوات والرحمة، وقد نظم الإمام محمد بن مرزوق التلمساني رحمه الله بيتين رمز فيهما بالحرف الأول من كل كلمة إلى واحد من الآباء الكرام على ترتيبهم فقال:

عَلِقْتُ شَفِيعًا هَالَ عَقْلِي قُرَائُهُ كِتَابٌ مُبِينٌ كَسْبُ لُبِّي غَرَائبُهُ فِدَا مَعْشَرٍ نَفْسِي كِرَامُ خُلاصَةٍ عَلَى الفِهِمْ مُذْ نِبلَ مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ

والمراد بالصحابي هو من اجتمع مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سواءً رآه أم لا، كابن أم مكتوم وهذا سر التعبير

بالاجتماع دون الرؤية ومات على ذلك الإيمان، ولم يغير ولم يبدل وعطف الصحب على الآل لتشمل الصلاة من اجتمعت له الصحبة والآلية كعلي وفاطمة وحمزة وجعفر والعباس وعبد الله بن عباس وغيرهم ممن جمعوا بين الآلية والصحبة، ومن انفرد بالصحبة وليس من الآل كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومن انفرد بالآلية دون الصحبة كزين العابدين عليه السلام، وبين الصحبة والآل عموم وخصوص، فكل من كان من الآل جاز أن يكون من الصحابة، وليس كل من كان من الصحابة يلزم أن يكون من الآل، وتشمل الصلاة أيضاً المتبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته مع الفرق بين معنى الصلاة على النبي ومعنى الصلاة على غيره كما بيناه آنفاً.

أما بعد: كلمة يؤتى بها للانتقال من معنى إلى آخر، وهي تفيد الإضافة بمعنى الذي، والله ورسوله أعلم.



## فصل آداب المُعَلَّم ومما يجب أن يكون عليه المُعَلَّم:

أولاً: إخلاص النية في تعليم العلم لله تعالى وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلا لِيَعبُدُوا الله مُخلِصِينَ لَهُ الدِينَ حُنفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَلاَةَ وَيُؤتُواْ الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيمةِ ﴾ الآية 5 من سورة البينة "، ولحديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ المُرِئِ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) "منفق عليه".

ثانياً: أن يكون مستقيماً صدوقاً تقياً حَسن الخُلق وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللّٰهُ ثُمَ استَقَامُوا تَتَنَزَلُ عَلَيهِمُ المَلآئِكةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلاَ تَحَزَنُواْ وَأَبشِرُواْ بِالجَنَةِ التِي كُنتُم تُوعَدُونَ ﴿ اللّٰهِ 30 من سورة فصلت ".

ثالثاً: أن يكون متواضعاً كثير الصمت قليل الكلام إلا فيما يعنيه لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِض جَنَاحَكَ لِمَنَ اتَبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ ﴾ الآية 215 من سورة الشعراء"، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ تَوَاضَعَ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ رَفَعَهُ اللّهُ، وَمَنِ ارْتَفَعَ عَلَيْهِ وَضَعَهُ اللّهُ) "رواه الطبراني في المعجم الكبير"، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ رَسُول الله عليه وآله وسلم: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ) "رواه الترمذي".

رابعاً: أن يكون زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وَرِعاً غير متكبر، لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ رَجُلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ رَجُلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي اللَّهُ اللَّهُ وَانْهَد فِيما فِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَالله وَسَلَّمَ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيما فِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَالله وَسَلَّمَ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيما فِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَالله وَسَلَّمَ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِي اللهُ وَسَلَّمَ وَانْهُ وَسَلَّمَ وَانْهُ وَسَلَّمَ الله وَسَلَّمَ الله وَسَلَّمَ وَالله وَسَلَّمَ اللهُ وَسَلَّمَ وَالله وَسَلَّمَ وَاللّه وَسَلَّمَ اللّه وَسَلَّمَ وَاللّه وَسَلَّمَ اللّه وَسَلَمْ وَاللّهُ وَسُلَّمَ وَاللّهُ وَسَلَّمَ وَاللّهُ وَسَلَّمَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَسَلّمَ وَاللّهُ وَسُلّهُ وَاللّهُ وَسَلّمَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَسُلَّمُ وَاللّهُ وَاللّهَ وَسَلّمَ وَاللّهُ وَالْعَلْمُ وَاللّهُ وَسُلّمَ وَاللّهُ وَسُلّمَ وَاللّهُ وَسُلّمَ وَسُولُ اللّهُ وَسُلّمَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَسُلّمَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَا لَهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَاللّهُ وَلَ

عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ: (فَضْلُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَمِلاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ)"رواه الطبراني في المعجم الكبير"، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ)"رواه مسلم".

خامساً: أن لا يكون بخيلاً ولا يسأل الناس أموالهم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَخْمٍ) "متفق عليه".

سادساً: أن لا يرتكب المحرمات لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الآية 151 من سورة الأنعام ، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) رواه البخاري ومسلم واللفظ له ..

سابعاً: أن يكون عالماً بالكتاب والسنة عاملاً بهما لقوله تعالى: ﴿ يَرِفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُم وَالذِينَ أُوتُواْ العِلمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾"الآية 11 من سورة المجادلة"، ولحديث معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)"رواه البخاري ومسلم والزيادة عند الطبراني"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ) "رواه الترمذي وابن ماجه"، وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك) رواه الطبراني" - والخامسة أن تبغض العلم وأهله-. ثامناً: أن لا يفعل خلاف ما يقول من الحق لقوله تعالى: ﴿يَا الَّذِينَ آمَنُوا لِم تَقُولُونَ مَا لاَ تَفعَلُونَ كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفعَلُونَ ﴾ "الآية 3 من سورة الصف"، ولحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَسلم: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَهُمْ أَهْلِ الدُّنيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتُلُونَ الْكِتَابَ أَفلا يَعْقِلُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتُلُونَ الْكِتَابَ أَفلا يَعْقِلُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتُلُونَ الْكِتَابَ أَفلا يَعْقِلُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتُلُونَ الْكِتَابَ أَفلا يَعْقِلُونَ) "رواه الطبراني في المعجم الأوسط".

تاسعاً: إذا سئل وغابت عنه المسألة يقول: لا أدري، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْم إِنَ السَمعَ وَالبَصَرَ وَالفُوَّادَ كُلُ أُولِئِكَ كَانَ عَنهُ مَسئُولاً ﴾ الآية 36 من سورة الإسراء"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي البقاع خير؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا أدري)، فقال أي البقاع شر؟،

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا أدري)، فقال: سل ربك، فلما جاء جبريل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني سُئِلت أي البقاع خير، وأي البقاع شر؟ فقلت: لا أدري، فقال أي جبريل-: وأنا لا أدري حتى أسأل ربي، قال صلى الله عليه وآله وسلم: فانتفض جبريل انتفاضة كاد أن يصعق منها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الله: يا جبريل يسألك محمد أي البقاع خير فقلت: لا أدري، فسألك أي البقاع شر فقلت: لا أدري، فسألك أي البقاع شر فقلت: لا أدري، وشر البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق)"رواه الحاكم".

ولله در القائل:

أَلَـيْسَ مِـنَ البَلْـوَى أَنَّـكَ جاهِـلُّ وأَنَّـكَ لا تَــدْري بِأَنَّـكَ لا تَــدْري إذا كُنْتَ لا تَـدْري ولَسْتَ كَمَـنْ يَـدري فَكَيْـفَ إذا تَـدْرى بأَنَّـكَ لا تَـدْرى عاشراً: أن يُروّح القلوب ببعض الطُرَفْ على أن لا يكثر الضحك والمزاح وذلك لما رواه أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ)، النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ)، قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِولَدِ النَّاقَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (وَهَلْ تَلِدُ الْإِبلَ إِلا النَّوقُ)"رواه أبو داود"، وعن أبي هريرة قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: (إِنِي لَا أَقُولُ إِلّا وَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَالله حَيْنَا، وَالله وَقالَ هذا حديث حَقًا)"رواه أحمد في مسنده والترمذي في السنن والشمائل وقال هذا حديث حسن".



#### فصل آداب المتعلم

ومما يجب على طالب العلم مراعاته أثناء تحصيله للعلوم الشرعية ما يلى:

أولاً: أن يخلص النية في طلب العلم لله ولا يقصد به جاهاً ولا مالاً ولا مباهاةً ولا مراءً ولا جدالاً ولا رياءً، بل يقصد به وجه الله والدار الآخرة وإحياء الدين وبقاء الإسلام؛ لأن بقاء بالعلم، وذلك لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السابق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّمَا اللهَّعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى مُا هَاجَرَ لِللهَ عليه الله عليه أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَى امْرَأَةٍ مَا يَوَى عَلَى مَا هَاجَرَ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَى امْرَأَةٍ مَا يَوْمَى عَليه.

ثانياً: أن يبدأ بعلم الدين الضروري قبل علم الدين الكفائي، ويرحل لطلبه إن لم يتيسر له في بلده وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلُولاً نَفَرَ مِن كُلِ فِرقَةٍ مِنهُم طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَهُواْ فِي

الدِينِ وَلِيُنذِرُواْ قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلهُم يَحْذَرُونَ الآية الذينِ وَلِيُنذِرُواْ قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلهُم يَحْذَرُونَ الآية 122 من سورة التوبة"، ولما رواه عبد الله سلى الله عليه وآله وسلم الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللّهُ وَأَنَّ عُمْشٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللّهُ وَأَنَّ عُمْشٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ الله وسلم عُمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمٍ رَمَضَانَ) "رواه البخاري ومسلم واللفظ له"، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (طَلَبُ عنه الْعِلْمِ عَنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ الْعُلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كُمُقَلِّدِ الْخُنَازِيرِ الْجُوْهَرَ وَاللَّوْلُو وَالذَّهَبَ) "رواه ابن ماجه".

ثالثاً: أن يصحب شيخاً عالماً عارفاً متمكناً وأخاً فاضلاً، فيطيل صحبته ويتواضع له ويُوَقِّرُه ويمتثل أمره، فالعلم لا يُنالُ إلا بتعظيم العلم وأهله، وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ) "رواه أحمد والبيهتي والقضاعي".

#### قلت:

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلُ وسَلْ عَنْ قَرينِه عالى المَرْءِ لا تَسْأَلُ وسَلْ عَنْ قَرينِه عالى دين خليلِه

ولِمَا رواه مسلم في مقدمة صحيحه والترمذي في آخر كتابه الشمائل عن ابن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"، وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما: "العلم دين والصلاة دين، فانظروا عمن تأخذون هذا العلم، وكيف تصلون هذه الصلاة، فإنكم تسألون يوم القيامة".

رابعاً: أن يكون حريصاً مجتهداً تقياً متحرياً وأن يرحل في طلبه إلي الآفاق البعيدة، وذلك لحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجُنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ

طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْمَاءِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّثُوا الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَاراً وَلا دِرْهَما، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّ دِينَاراً وَلا دِرْهَما، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَالك رضي الله عنه: "العلم وَافِرٍ) "رواه ابن ماجه"، وقال الإمام مالك رضي الله عنه: "العلم نفور لا يأنس إلا في قلب تقي خاشع".

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إِلاَّ بِسِتَّةٍ

سَانُنبيكَ عَنْ تَفْصَيلِها بِبَيانِ

ذَكاءٍ وحِرْصٍ واجْتِهادٍ وبُلْغَةٍ

وصُحْبَةِ أُسْتاذٍ وطُولِ زَمانِ

خامساً: أن يتحرى النقل فيما يرويه عن شيخه، وذلك لما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)"رواه

أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة"، وقد أفرد له شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن الصديق الغماري جزءاً سماه (المسك التبتي بتواتر حديث نَضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي)، فأوصل عدد رواته إلى عشرين صحابياً.

وقال الأستاذ العلامة على بن إبراهيم التجاني البجلي: إِنَّ الذي يَــرُوي ولكِنَّــهُ يَجْهَــلُ ما يَـرُوي وما يَكْتُـبُ كَصَــخُرَةٍ تَنْبُــعُ أَمْواهَهـا كَصَــخُرَةٍ تَنْبُـعُ أَمْواهَهـا تَسْــقي الأراضي وهِيَ لا تَشْــرُبُ

سادساً: أن لا يكثر عند شيخه الكلام، ولا يستبق الأسئلة في غير محلها، وذلك لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَوْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)"رواه أحد".

سابعاً: أن لا يمنعه الحياء والكِبْر أن يسأل عما لا يعلم، وذلك لحديث جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله، قال الله جلّ ذكره: ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله، قال الله جلّ ذكره: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذّ كُرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ من الآية 43 من سورة النحل") رواه الطبراني في المعجم الأوسط"، وأنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه فقال:

مَنْ لَمْ يَدُقْ ذُلَّ التَعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ كَأْسَ الجَهْلِ طُولَ حَياتِهِ

وأن يعلم بأن العِلْمَ كله عظيم، فمن تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه عظم قدره، ومن تعلم الحديث قويت شوكته، ومن تعلم العربية رق طبعه، فخذ من كل علم أحسنه، وذلك لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ فَذَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ

وَيَدْعُونَ اللَّهَ وَالأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ: كُلُّ عَلَى خَيْرٍ هَوُلاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ أَعْظَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَوُلاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَإِنْ مَا اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ مُنَعَهُمْ، وَهَوُلاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَإِنْ مَا اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ مُعَلِّمُ وَاللَّهُ عَلَمُ مُعَلَّمُ اللَّهُ عَلَى مَعَهُمْ) "رواه ابن ماجه"، وأنشد إمامنا الشافعي رضي الله عنه فقال:

لَنْ يَبْلُغَ العلم أَحَدُ وإِنْ حاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ العلم عَميقُ بَحْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَه



# فصل تقسيم أمير المؤمنين عليه السلام أحوال الناس في طلب العلم، وما ينبغي أن يكون عليه العالم والمتعلم

عن كميل بن زياد، قال: "أخذ على بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: "يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها، واحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خُزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه إن ههنا - وأشار بيده إلى صدره - علماً لو أصبت

له حملةً، بلى أصبته لقناً غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك في قلبه، بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك، أو منهوم باللذات، سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار، وليسا من دعاة الدين، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللُّهُمَّ بلي لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حُجَجِهِ، حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فَاسْتَلَانُوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا مما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم" "رواه أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في جامع بيان

العلم وفضله" وقال: "هو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم" ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ثم قال: "هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً"



#### فصل أول الواجبات على المكلف

اعلم أن أول واجب على المكلف البالغ العاقل الذي وصلته دعوة الإسلام في حال كونه متمكناً من النظر وخالياً من المانع هو معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام، وذلك بالصفات التي نصب الله تعالى عليها الأدلة والبراهين، إذ الجهل بالصفة جهلٌ بالموصوف، وإن شرف العلم بالمعلوم مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾"الآيات 14- 15 من سورة طه"، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ من الآية 19 من سورة محمد"، فهذه الآيات من القرآن فيها إشارة إلى علمين: علم التوحيد وعلم الفروع، وقد قدم الله تعالى ما فيه إشارة إلى علم التوحيد على ما فيه إشارة إلى علم الفروع، ففهم العلماء من ذلك أن علم التوحيد أشرف

العلوم وأفضلها على الإطلاق، وقد خصَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه بالترقي في هذا العلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)"رواه البخاري"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئِل أي العمل أفضل فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) "رواه البخاري"؛ ولأن الأعمال الصالحة لا تقبل بدون الإيمان بالله ورسوله، وإن شرف العلم بالمعلوم، فهم العلماء رضي الله عنهم أن أشرف العلوم وأولاها على الإطلاق هو علم التوحيد.

وما أجمل قول الإمام أبو عبد الله محمد بن مجاهِد:

أَيُّهُ المُقْتَ دي لِيَطْلُبَ عِلْماً

كُلُّ عِلْمِ عَبْدُ لِعِلْمِ السَّكَلامِ

تَطْلُبَ الفِقْ مَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْماً

ثُمَ أَغْفَلْتَ مُ نَرِّلَ الأَحْكامِ

وقد قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأبسط: "اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام"، وقال أيضاً: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه وما يتعلق بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر"، وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: "أحكمنا ذلك قبل هذا"، معناه: أتقنا علم التوحيد قبل علم فروع الفقه، وقال إمام أهل السنة في هذا العلم - أي علم التوحيد- أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه"، وقال الإمام الغزالي: "لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود" لئلا يُعْبَد الله على جهل، ولتميز صفات الخالق عن صفات المخلوق، كاعتقاد من يعتقد أنه جسمٌ أو جالسٌ أو في جهةٍ من الجهات، أو وَصْفِهِ بصفةٍ من صفات البشر - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، فهذا عبادته تكون لشيء توهمه في مخيلته فيكون مشركاً بالله، وعلى ذلك إجماع أهل السنة كما هو مقرر في بابه من كتب العقائد، وكما هو مبسوط في كتب الفقه من باب الردة أعاذنا الله وإياكم

منها، وعلى هذا المعنى فلا تصح عبادته مهما أوتي من صيام وقيام وصدقات لأنه فاقد لأصل الإيمان وذلك لما رواه ابن ماجه عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كُنَّا مَعَ النَّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَخَيْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الإيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَاناً"، وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) "رواه الشيخان"، ففهم العلماء من ذلك أن من أتقن علم التوحيد ومات على ذلك لا يخلد في نار جهنم على ما كان من العمل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ من الآية 48 من سورة النساء".

والواجب الثاني على المكلف هو تحصيل الفروع الفقهية التي تندفع بها الوساوس الشيطانية، وتصح بها العبادات والمعاملات

المرضية، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين ﴾ من الآية 122 من سورة التوبة"، فتبيِّن لنا الآية عِظَمَ مكانة الفقه وسمو منزلة الساعين لتحصيله، وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ من الآية 19 من سورة محمد"، وقول الإمام الشافعي رضى الله عنه: "أحكمنا ذلك قبل هذا" فيه تصريح منه رضي الله عنه أنه بعد تحصيل الشهادتين لا بد من تحصيل حقهما وهو الصلاة والصوم والحج والزكاة، وهو المعبر عنه بضروريات الدين، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأُقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ١٤ الآية 14 من سورة طه"، في هذه الآية دلالة صريحة على وجوب تعلم الصلاة وما يتعلق بها من أحكام بعد إتقان التوحيد لأنها رأس الأعمال وعماد الدين، وقد عرَّفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام في حديث جبريل فقال: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ) رواه مسلم"،

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (بُنيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ وَصَوْمٍ رَمَضَانَ) رواه البخاري"، فلا غنى لكل مكلفٍ عن هذا العلم لمعرفة الحلال من الحرام، والخبيث من الطيب، وصحيح العبادات والمعاملات من فاسدها، فيعبد ربه على علم وبصيرة، وقد نوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مكانة الفقه وحامله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي دِين، وَلَفَقِيهُ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ، وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ)"رواه الطبراني في المعجم الكبير ".

ولله در القائل:

إِذَا اعْ تَرَّ ذُو عِلْ مِ بِعِلْ مِ الْفِقْ فِي اعْ تِزازِ فَعِلْ فِي اعْ تِزازِ

## فَكَمْ طِيبٍ يَفُوحُ ولا كَمِسْكٍ وكَمْ طَهْ يَطِيرُ ولا كَبازِ

فإذا كان الفقه بهذه المرتبة الشريفة والمزايا المنيفة لما اشتمل عليه من الأسرار الإلهية، كان الاهتمام به في الدرجة الأولى بعد التوحيد الذي يجب تحصيله قبل كل شيء، وصرف الأوقات النفيسة بل العمر فيه أولى؛ لأنه به تصح العبادة وتسلم من الفساد وتُحف بالرضوان والقبول من الله عزّ وجل، فسبيله سبيل الجنة وطريق المهتدين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والعمل به حرزٌ من النار.

وأما الواجب الثالث الذي لابد من تحصيله فهو تهذيب النفس وإصلاحها وتطهيرها من كل ما يباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يقرب إليه، ويزلف لديه من الأحوال والأقوال والأعمال، وتخليصها من دنس الأخلاق الذميمة، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، والرقي بالأرواح

إلى مراتب الفلاح، وهو ما يعبر عنه بعلم الزهد أو السلوك أو الأخلاق أو الأدب فكلها مسميات لعلمٍ واحد وهو علم التصوف الذي مقامه في الحديث "الإحسان"، والذي هو أحد أركان الدين الثلاثة لما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الشِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَر وَلا يَعْرفُهُ مِنَّا أَحَدُّ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإيمَانِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (أَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ

وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِر وَتُؤْمِنَ بالْقَدَر خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَانِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِل)، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)، فجعل مقام الإحسان - المصطلح عليه عند العلماء بالتصوف مثل اصطلاحهم لبقية العلوم- في الحديث من كمال الدين، وذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَإِنَّهُ جِبْريلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)، والتصوف بهذا المعنى هو تحقيقً لمقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان، إذ لا تصوف إلا

بفقه، كما لا فقه إلا باعتقاد وإيمان، فلا سبيل لمعرفة الأحكام المتعلقة بنا إلا به، كما لا فقه أيضاً إلا بتصوف، إذ لا عبرة بفقهٍ لا يصحبه صِدقُ التوجه، قال الشيخ زرُّوق المالكي رحمه الله: "التصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول -علم التوحيد- لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان باليقين، كالطب لحفظ الأبدان"، فيؤخذ من هذا وجوب معرفة هذا العلم، لهذا لم يزل أئمة الإسلام وهداة الأنام قديماً وحديثاً يرفعون مناره، ويُجلون مقداره، ويعظمون أصحابه، فإنهم أولياء الله وخاصته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، ومن أثمن ما قيل في التصوف قول الإمام أبي الحسن الشاذلي المالكي رحمه الله تعالى: "التصوف تدريب النفس على العبودية، وردُّها لأحكام الربوبية"، وقول سيد الطائفتين الإمام الجنيد الظاهري رحمه الله تعالى: "التصوف استعمال كل خُلقِ سنيّ، وترك كل خُلقِ دنِي". وما أجمل قول الحسين بن عبد الله الطيبي: يا مَنْ تَقاعَدَ عَنْ مَكارِمِ خُلُقِه

لَـيْسَ التَفاخُرُ بِالعُلُومِ الظاهِرَة مَـنْ لَـمْ يُهَـذِّبْ عِلْمَـهُ أَخْلاقُه

لَـمْ يَنْتَفِعْ بِعُلومِـهِ فِي الآخِرةِ

فعماد التصوف تصفية القلب، وتطهير النفس من الأخلاق الذميمة، وتعمير الظاهر والباطن، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم لنيل المراد وهو السعادة الأبدية.



#### فصل كيف تؤخذ العلوم

اعلم أنه لا يصح أخذ العلوم ابتداءً من الكتب إلا بعد أن يتلقى الطالب نصيباً منها عن العلماء حتى تتكون له ملكة يستطيع أن يميز بها المكلف الخطأ من الصواب، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ من الآية 43 من سورة النحل"، وقد أجمع علماء التفسير وغيرهم أن أهل الذكر هم العلماء، ومما لا يشك به عاقل أن الله سبحانه وتعالى أمر بإتباع أنبيائه فقال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾"من الآية 7 من سورة الحشر"، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾"من الآية 21 من سورة الأحزاب"، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولكن أردنا التنبيه على وجوب إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفهم ونقيم الدليل القطعي على وجوب إتباع العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء، ولا نفهم حقيقة من يدّعي اليوم أنه مُتَّبع لسنة المصطفى صلى

الله عليه وآله وسلم وهو مُعْرض عن العلماء، ومُنْكَبُّ على الكتب من غير تلق عن أهل العلم، وبذلك يكون مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع، ومن السنة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأُ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِل فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أُفْقَهُ مِنْهُ) "رواه أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة عن ابن مسعود وغيره"، وهو من الأحاديث المشهورة المتواترة كما مرَّ معنا سابقاً في آداب المتعلم، وقد قال شيخ شيوخنا الإمام السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني ثم المكي رحمة الله عليه في كتابه (فتح القريب المجيب على شرح تهذيب الترغيب والترهيب): "وهكذا خَصَّهم الني صلى الله عليه وآله وسلم بدعاءٍ لم يشرك فيه أحداً من الأمة، وهذا الدعاء يناسب حال مبلغ الحديث؛ لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله"، ويؤيده ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت على بن أبي طالب عليه السلام يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم فقال: (اللَّهُمَّ ارحم خلفائي)، قال عليه السلام: قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس) "رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ورواه الطبراني في الأوسط"، قال القسطلاني في مقدمة (إرشاد الساري) بعد ذكر هذا الحديث: "ولا ريب أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم من وظائف الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه، فدعا لهم بالرحمة وسمّاهم خلفاءه"، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ) رواه البيهةي في المدخل وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه البزار وقد جاء عن عشرة من الصحابة وهم الإمام على وابن عمر ومعاذ وأبي هريرة وابن مسعود وأسامة بن زيد وأبي الدرداء وأنس بن مالك وأبي أمامة وسمرة بن جندب وحسنه العلائي كما قال السخاوي وذلك بمجموع طرقه"، فيفهم من هذه الأحاديث بيان عدالة

العلماء عامة، وأهل الحديث خاصة، ويفهم أيضاً أن أخذ العلم لا يكون إلا بالتلقى، وقد روى الإمام الخطيب البغدادي بإسناده عن موسى بن يسار - أحد المشهورين- أنه قال: "لا تأخذوا العلم إلا من أفواه العلماء"، وقال أيضاً: "الذي يأخذ العلم من الكتاب يقال له الصحفي والذي يأخذ القرآن من المصحف يقال له مصحفي"، ولهذا أوجب العلماء نقل كل شيء إلى قائله بالسند المتصل لما رواه ابن أبي أويس أحد تلاميذ الإمام مالك رحمه الله قال: سمعت مالكاً يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند هذه الأساطين -وأشار إلى المسجد- فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مالِ لكان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"، ذكره ابن فرحون في كتابه (الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب)، والأصل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلَّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ

يُردِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)"أخرجه البخاري في صحيحه كتاب "العلم" باب "العلم قبل القول والعمل" ورواه الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له"، والمدار في فهم الحديث يتوقف على كلمة "إنَّما" المركبة من "إنَّ" المؤكِّدة و"ما" النافية، قال علماء البلاغة: "إذا ما التقى التوكيد والنفي واجتمعا في كلمة واحدة مثل "إنَّما" فإن ما بعدهما يفيد الحصر"، فيكون معنى الحديث لا يكون العلم إلا بالتعلم، وقال الشاطبي في كتابه (الموافقات): "كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى بطون الكتب، وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال"، فنفهم أنه لا مجال للتعلم ابتداءً إلا بالتلقى عن الرجال ولو كانت العلوم في بطون الكتب، والمقصود من قوله: "بطون الكتب" أنها أصبحت أوعيتها بعد أن كانت العلوم أوعيتها صدور الرجال، وفي هذا أنشد أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير النهر المادّ قائلاً: يَظُنُّ الغُمْرُ أَنَّ الكُتْبَ تَهْدِي أَخِسَا جَهْلِ لِإِذْراكِ العُلُومِ أَخَسَا جَهْلِ لِإِذْراكِ العُلُومِ وَمِا يَدْري الجَهُولُ بِأَنَّ فيها غَلُولُ بِأَنَّ فيها غَلُولُ مِنْ فيها غَلُومِ حَسَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهسِيمِ إِذَا رُمْسَتَ العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخِ ضَالعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخِ ضَالعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخِ ضَالعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخِ ضَالعُلُومَ مَنْ السَصراطِ المُسْتَقيم وَتَلْتَ بِسُ الأُمُورَ عَلَيْكَ حَتَّى وَتُلْتَ بِسُ الأُمُورَ عَلَيْكَ حَتَّى وَتُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكَ حَتَّى قَصيرَ أَضَلَ مِنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكَ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكَ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكَ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكَ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكَ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مِنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُومُ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ مَنْ الْعُلْمُ وَتَعَلَيْكُ مَنْ تُومِا الحَكيمِ وَتَعَلَيْكُ وَلَيْكُومُ الحَكَلَيمِ وَتَعَلَيْكُ وَالْعُلْمُ وَتَعَلَيْكُ وَلَيْكُ وَالْعُلْمُ الْعُلُومُ الْعُلْمُ الْعَلَيْكُ وَلَيْكُ الْعُلْمُ وَلَعُلُمُ وَلَا الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ وَلَا الْعَلَيْمِ الْعُلْمُ اللْعُمُ الْعُلْمُ الْعُلِمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلِمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلِمُ الْعُلْمُ الْعُلِمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلُمُ الْعُلْ

ولا شك أن الكتب التي يطالعها الشخص لا تخلو من دسً أو افتراءً على الدين، أو يفهم منها أشياء على خلاف ما هي عليه عند السلف والخلف على ما تناقلوه جيلاً عن جيل، فيؤدي إلى عبادة فاسدة أو أن يقع في الحرام أو في الكفر والضلال أعاذنا الله وإياكم، وأقلُ ما يكون في الكتب أنها لا تخلو أيضاً من خطأ مطبعي، وعلى كل حال فاعلم أن ليس ذلك سبيل التعلم الذي نهجه السلف، إذ لا بد من تعلم أمور الدين من عارف

ثقة يكون أخذ عن ثقة، وهكذا إلى الصحابة رضوان الله عليهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبريل عليه السلام عن اللوح المحفوظ عن رَبِّ العزة سبحانه وتعالى، ولهذا أوجب العلماء نسبة كل شيء إلى قائله وذلك بالنقل المعتبر عند أهل الفن والأثر وهو المتفق على تسميته بالسند، وكل ذلك لما في السند من الفضل على غيره، فهذه الأقوال المنقولة إلينا بالتلقى من أفواه العلماء نقلت بالسند كما نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه أصل من أصول الدين مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) جزء من حديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والداري"، وكذلك نقل كلام الصحابة رضي الله عنهم؟ لأنه فهم للدين وعمل به وتفسير له من أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمهم بكلامه وهديهِ، وكذلك كلام التابعين وتابعي التابعين وخاصة ما وصل إلينا من فقه الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم

أجمعين؛ لأنهم أعرف الناس بما كان عليه صحابته الكرام، فكل منقول متوقف قبوله أو رده على السند والتلقي، ولولا التلقي لما كان السند، فإن صحَّ السندُ ثبت نقل الخبر، وإن لم يصح انتفى ثبوته، وبهذا الميزان يُحاكم كل ما يُنقل من قرآنِ وحديثٍ وفقهٍ وغيره من العلوم حتى الأدب والشعر والنثر والتاريخ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك مثل نقل المسليات أو المضحكات كأخبار الحمقي والمغفلين أو أخبار الأذكياء والنابهين أو البخلاء والطفيليين، فترى أحدهم يسوق سنداً طوله سطران أو ثلاثة أسطر من أجل كلمة ذات ثلاثة أحرف صدرت من مستظرف أو أحمق أو ذكى نابه ليثبت بالسند على أنها نقلت عن قائلها كما ذكره البغدادي في كتابه (التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم)، فقال: "أخبرنا على بن أبي على حدثنا محمد بن عبد الرحيم

المازني أخبرنا قتيبة قال: الضَيْفَنْ "أ"، مع أن الخبر ليس فيه أمرً ولا نهيُّ، ولا حلالٌ ولا حرام، وإنما هو من حكايات الأسمار، وبهذا الاستدلال تعلم ما هو قيمة التلقى وأخذ السند عن العلماء الأعلام، فالسند والتلقي شرطان مطلوبان في كل خبر صغير أو كبير، طويل أو قصير، وما القصد إلا تحقق الصدق في الخبر وانتفاء الكذب عنه، وما يتم هذا وذاك إلا بالتلقي، وهو صفة المحققين من أهل العلم، والذي يجب أن يُعلم أنه لو كان هناك أحدُ مستثنى عن التلقى لكان حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومع هذا فإنه تلقى الوحي عن جبريل رغم أنه أفضل منه، وفي تلقى الفاضل عن المفضول يكمن سرُّ الشريعة الإسلامية، فكيف يتجرأ بعض من ينتسبون إلى العلم ويقولون أنه لا حاجة إلى التلقي والسند بعد أن دونت العلوم في الكتب.

<sup>1-</sup> هو الذي يجئ مع الضيف ولم يدع.

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه (الترخيص في الإكرام بالقيام لذوي الفضل على سبيل التوقير والاحترام لا على سبيل الرياء والإعظام) بسنده المتصل إلى أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ: أنشد ابن عبد السلام الأديب رحمه الله:

أَلاَ إِنَّ خَـيْرَ النّاسِ بَعْدَ دَعُمَّدٍ

وأَصْحابِهِ والتابِعِينَ بِإِحْسان

أُنساسٌ أَرادَ اللهُ إِحْياءَ دينِهِ والتابِعِينَ بإِحْسان

إِذَا عَالِمٌ عَالَي الحَديثِ تَسامَعُوا بِه إِذَا عَالِمٌ عَالَي الحَديثِ تَسامَعُوا بِه جَاءَهُ القاصي مِنَ القَوْمِ والداني وسارُوا مَسيرَ الشَّمْسِ في جَمْعِ عِلْمِه فَاوْطانُهُم أَضْحَتْ لَهُمْ غَيْر أَوْطان

وحدثني شيخي محمد الشاذلي النيفر عن والده الشيخ الصادق النيفر عن الشيخ محمد الطيب النيفر أنه سمع سيدي الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي يقول:

أَهْ لُ الحديثِ طَويلَ أَهُ أَعْم ارُهُم

ووُجوهُهُم بِدُعا النَّبِيّ مُنضَّرَة وَهُهُم بِدُعا النَّبِيّ مُنضَّرَة وسَمِعْتُ مِنْ بَعَضِ المَشايِخِ أَنَّهُم أَرْضَا بِهِ مُتَكَشَرَة أَرْضَا بِهِ مُتَكَشَرَة



#### فصل في أفضل طرق التعلم

قال العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المتوفى سنة 1363 هجري الموافق له 1944 رومي في كتابه (إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك) "والتحقيق في كيفية التعليم هي أن يقرر المدرس المتن، ويبين المُشكل، ويتمم الناقص من القيود، وما زاد على ذلك فضرره على المتعلم أعظم من نفعه، كما قاله المحقق ابن عبد العزيز الهلالي قال: وهذا بالنسبة للمبتدي أما سواه فيزاد على قدره بالعزو وبالدليل الذي بنى عليه الفرع وبما يوافق المقام من بيانٍ للمسائل التي يصعب فهمها مع أجوبتها "انتهى بتصرف.

وقد قال ذلك المحقق عبد العزيز الهلالي نظماً:

تَقْري رُمَ تَنْ وبَي انُ مُشْكِلِ تَتْميمُ ما نَقَصَ الاقْراءَ اجْعَلَ وزَائِ دُضَرَرُهُ أَعْظَ مُ مِنْ نَفْعٍ بِهِ فَهْ وَبِالتَرْكِ قَمِنْ أمّ الله على واهُ فبِقَ الله عنه قال: قال رسول الله صلى ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللّهَ لَا يُقدِّسُ أُمَّةً لَا يُعْطَى الضَّعِيفُ فيهِمْ حَقَّهُ)"رواه الطبراني"، وعن الإمام على بن أبي طالب عليه السلام قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُحَذَّبَ الله وَرَسُولُهُ" "رواه البخاري" وجاء في الأثر "سيروا على قدر ضعفائكم" وكذلك "خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون"، وقال ضعفائكم" وكذلك "خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون"، وقال عبد الله بن مسعود: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهمْ فِتْنَةً)"رواه مسلم".



#### فصل في شروط المكلّف

التكليف: هو طلب ما فيه كُلْفَة من فعل أو ترك، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا ﴾ من الآية 286 من سورة البقرة".

والمكلف: هو البالغ العاقل الذي وصلته دعوة الإسلام وكان خالياً من المانع.

1- البلوغ: وهو كما قال أبو عبد الله المازري المالكي: قوة تحدث في الصبي والصبية يخرجان بها من حالة الطفولة إلى حالة الرجولة، وتلك القوة لا يكاد يعرفها أحد، فجعل لها المُشرعُ علامات يستدل على حصولها وهي ثلاثة: اثنتان يشترك فيها الذكر والأنثى، وواحدة تنفرد بها الأنثى.

أما الاثنتان اللتان يشترك فيهما الذكر والأنثى فهما:

أولاً: خروج المني: وهو ماء لزج يخرج على دفقات بعد انتصاب قضيب الرجل واحتدام الشهوة، مقرون باللذة التي يعقبها فتور وارتخاء في المفاصل، وله رائحة البيض إذا جف،

وهو موجب للغسل لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّمَا الْمَاءُ مِنْ الْمَاءِ) رواه مسلم"، معناه: الاغتسال من الإنزال، وتتصف به الأنثي والذكر على السواء، ولكن منيَّ الأنثي أصفر رقيق ينساب مع الفرج انسياباً إذا برز، وغالباً ما يبقى في جوف الرحم، ولكن تشعر به الأنثى عند حدوثه، لحديث أُمِّ سَلَمَة رضى الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمِ رضى الله عنها إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيي مِنْ الْحُقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (نَعَمْ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ)، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟، فَقَالَ: (تَربَتْ يَدَاكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا) "رواه البخاري ومسلم واللفظ

ثانياً: بلوغ خمسة عشر سنة عند الشافعية: هذا إذا لم يُمنِ الرجل أو تحيض المرأة، والدليل عندهم الاستقراء والتتبع،

ويستأنس الشافعية لقولهم هذا بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَنَا ابْنُ ثَلاثَ عَشَرَةَ سَنَةً، فَرَدَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ فَرَدَّنِي، ثُمَّ عُرِضْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشَرَةَ، فَأُجِزْتُ" وعند الحنفية والمالكية ثمانية عشر "رواه الطبراني في المعجم الكبير"، وعند الحنفية والمالكية ثمانية عشر سنة، والعبرة بالسنة القمرية لا الشمسية.

وأما العلامة التي تنفرد بها الأنثى فهي الحيض: وهو علامة تنفرد به الأنثى، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾"من الآية 222 من سورة البقرة"، وما رواه البخاري ومسلم وفيه: (هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ).

والحيض في اللغة: السيلان، تقول حاض الوادي إذا سال، وشرعاً: دم جبلةٍ يخرج من أقصى رحم المرأة في أوقات مخصوصة، وهو مائل إلى السواد، لاذع، يتبدل مزاج المرأة في أثنائه وقرب حدوثه، وله عشرة أسماء معروفة عند العرب

وذُكر بعضها في القرآن والسنة، ومن هذه الأسماء: حيض، وطمث، وضحك، وعراك، وإكبار، وإعصار، ودراس، وفراك، وطمس، ونفاس، ويتعلق به كثير من الأحكام ومنها ما يتوقف على ذات الحيض وهي: البلوغ، والاغتسال، والعِدّة، والاستبراء، وقبول قولها فيه، وترك الطواف، وسقوط فرض الصلاة، والانقطاع عن الصوم، وسجدة التلاوة، وسجدة الشكر، والاعتكاف، والدخول إلى المسجد، وقراءة القرآن من المصحف وكتابته ومسه، والطلاق والوطء والمباشرة بين السرة والركبة من غير مئزر، والحوائض من النساء خمسة: مبتدئة ومعتادة ومميزة وملفِّقة ويائسة ومثلهم المستحاضة.

فائدة: من العلامات الفارقة التي تدل على البلوغ ولكن لا يجوز أن يبنى عليها وجوب التكليف لذاتها إلا أن تكون ملازمة للشروط السابقة الذكر: خروج شعر العانة ويسمى بشعر الوسط عند الذكر والأنثى والمقصود منه الخشن لا

الزغب، ورائحة الإبطين، وفرق الأرنبة من الأنف، وبروز الحنجرة، وغلظ الصوت.

2- العقل: وهو كما عَرَّفه إمام الحرمين: جوهر لطيف به تدرك المحسوسات بالمشاهدات والغائبات بالوسائط، خلقه الله في القلب وجعل نوره في الدماغ، وقال الراغب الأصفهاني أو الأصبهاني: "هو قوة مهيأة لقَبول العلم"، وقال أبو إسحاق الشيرازي: "هو قوة يقع بها التمييز بين الحسن والقبيح"، وسمى العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن سواء السبيل، ولأجل هذا أوجب العلماء على المكلف أن يميز بين ما هو واجب عقلاً ومستحيل عقلاً وجائز عقلاً، ومن لم يميز بين هذه الثلاث وإن كان عند الناس عاقلاً فهو عند الله ليس بعاقل، مع وجوب العلم بأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية بالآخرة، وهو شاهدٌ من شواهد الشرع؛ لأن الشرع لا يأتي إلا بمُجَوِّزات العقول، وهو معني قولهم: "لا تكليف إلا بعقل"، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ:

عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَشِيقَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ) "رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن على وعمر رضي الله عنهما وبمعناه عند النسائي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها".

وأنشد أبو العتاهية:

ما وَهَبَ الله لامْرئٍ مِنْ هِبَه أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِهِ ومِنْ أَدَبِه

وابتداء وجوده في الإنسان عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ، ومحله القلب على المشهور، قال ابن زكري من المالكية في (محصل المقاصد):

مَحَلُّم القَلْبُ على المَشْهُور

للوَّي وهو مَذْهَبُ الجُمْهُ ورِ وفي الدِماغِ قالَ جُلُّ الحُكَما

بِقَوْلِهِمْ قَدْ قالَ بَعْضُ العُلَما

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنَّ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانُّ لا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾"من الآية 179 من سورة الأعراف"، وهو أفضل ما مَنَّ الله به على عباده، وذلك لحديث أبي عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ) إلى أن قال: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلَّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)"رواه البخاري ومسلم واللفظ له"، وهو أشرف الأعضاء لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه، وأنشد عمر بن أبي ربيعة:

ما سُمِّي القَلْبُ إِلاَّ مِنْ تَقَلُّبُهُ فاحْذَرْ على القَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وتَحُويلِ

وقد خص الله تعالى جنس الحيوان بهذا العضو وأودع فيه تنظيم المصالح المقصودة، فتجد البهائم على اختلاف أنواعها تدرك به مصالحها وتميز به مضارها من منافعها، ثم خص الله

تعالى نوع الإنسان من سائر الحيوان بالعقل وأضافه إلى القلب، وقد جعل الله الجوارح مسخرةً له ومطيعة، فما استقر فيه ظهر عليها وعملت على معناه، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فإذا فهمت هذا ظهر لك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجُسَدِ مُضْغَةً)...الحديث.

2- بلوغ دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو غير مكلف تبلغه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو غير مكلف ناجٍ، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنّا مُعَذَّبِينَ حَتَى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ من الآية 15 من سورة الإسراء ، ومن هذا نعلم أن أهل الفِترَة ناجون، وهم الذين جاءوا بين فترة نبي ونبي، إلا من سماهم القرآن أو ذكروا في السنة فهم خارجون على غير قياس. 4- الخلو من المانع: وهو أعمُّ من أن يكون حسياً أو معنوياً، والحسي إما مؤقتُ بأجلٍ مثل الحيض والنفاس أو أبديُ عادةً مثل فقد السمع والبصر معاً، وأما المعنوي فمثاله عدم وصول الدعوة كما مرَّ وهو أخص من البلوغ.

هذا ما لا يجوز أن يجهله كل مبتدئ جملةً كان أو تفصيلاً، وما يحتاج إليه كل منتهي تذكيراً وتعليماً وتفهيماً، فيرتجى منه أن يكون بعد ذلك حكيماً حليماً، وهو ما اكتمل من صفاته صلى الله عليه وآله وسلم المشار إليه في حقه تفخيماً وتعظيماً ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ من الآية قليك عَظِيماً الله عليه والله وهذا عصارة الكتاب ولب اللباب، والله ورسوله أعلم.

وكتب

خادم العلم الشريف أبي الفضل العباس أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمن علمه ومن كان له فضل عليه 24 صفر الخير 1441 هجري الموافق 23 أكتوبر 2019 رومي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

## فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

3	الكاتب في سطور
11	بين يدي القارئ
13	المقدمة
29	فصل آداب المُعَلَّم
36	فصل آداب المتعلم
يه السلام أحوال الناس في طلب	فصل تقسيم أمير المؤمنين عل
لليه العالم والمتعلم	العلم، وما ينبغي أن يكون ع
ت46	فصل أول الواجبات على المكلف
57	فصل كيف تؤخذ العلوم
68	فصل في أفضل طرق التعلم
70	فصل في شروط المكلّف
79	فَهْ رَسُ الْمَ وْضُوعَاتِ

### إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات التابع لآل البيت \_ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-14-021-7

